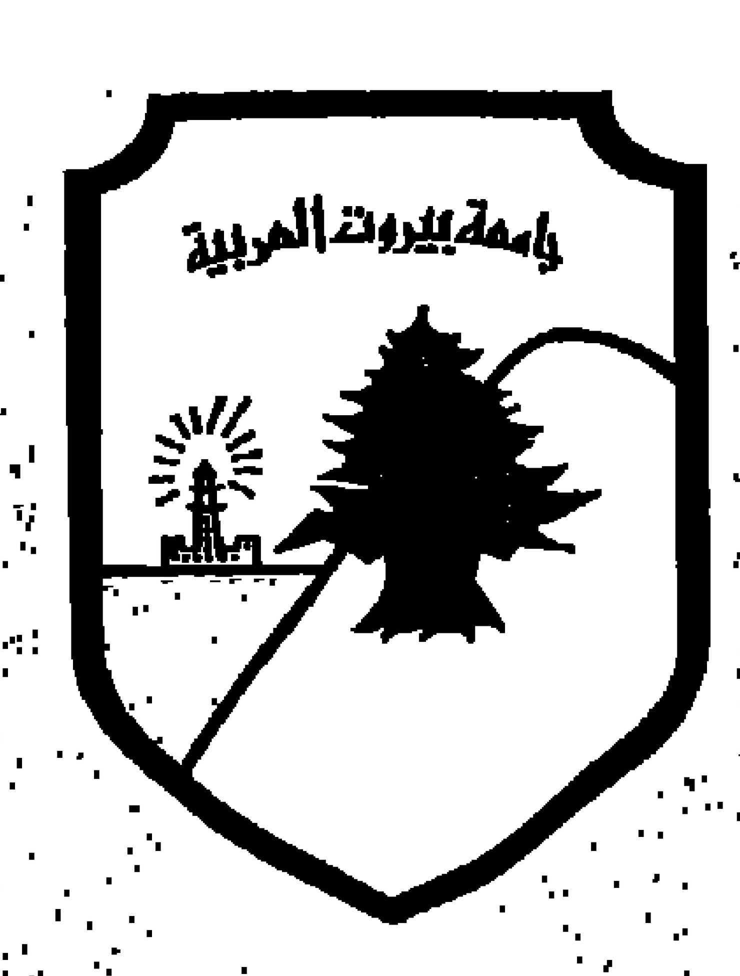


جامعة بيروت العربية

مكانة الجغرافية من الثقافة الإسلامية

دكتور عبد الفتاح محمد وهيبة
أستاذ الجغرافية بجامعتي الإسكندرية وبيروت العربية

١٩٧٩

اهداءات ٢٠٠٢

جامعة بيروت العربية

جامعة بيروت العربية

مكانة الجغرافية من الثقافة الإسلامية

دكتور عبد الفتاح محمد وهيبة
أستاذ الجغرافية بجامعتي الإسكندرية وبيروت العربية

١٩٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

صنع المثقفون من المسلمين على طول الزمان حضارة الاسلام ، وكان من بين ما حرصوا على التزود به – خاصة في فترات الازدهار – المعارف الجغرافية . وعلى الرغم مما شاب جغرافية المسلمين من قصور في بعض الأحيان ، فإن موضوعاتها كانت متنوعة ومعطياتها بالغة الأهمية . ولا نغالي إذا قلنا انها كانت تفضل بكثير ما جاء في مصنفات الكُتّاب المسيحيين وخارطاتهم .

ولعل من أهم ما قام به الجغرافيون المسلمون في سبيل بناء صرح الثقافة الجغرافية الاسلامية بخاصة والعالمية بعامة هو دورهم الرائد في توسيع المعرفة بجهات واسعة من العالم غير الاسلامي مما أدى الى تقوية العلاقات الثقافية بين الأمم وازدهار التجارة العالمية .

ولم يكن دور الجغرافيين المسلمين في الكشف عن صفات بلادهم وطبائع أهلها وعمرانها بأقل أهمية ، مما كان له فضل كبير في تقوية روح الأخوة الاسلامية وقت الشدائد . ولا ننسى الجانب العملي للجغرافية فقد مهدت الجغرافية العربية الاسلامية الطريق أمام فتوح الاسلام كما أسهمت في تنظيم الدولة وتحديد القبلة ومواقيت الصلاة وأوائل الشهور القمرية حتى يتم صوم رمضان لمن شهده ويتوجه الحجيج الى بيت الله الحرام دون تأخير .

يتعرض هذا البحث لكل هـذه النقاط بالمناقشة على أمل أن يكون باكورة عمل موسع حول ماهية جغرافية التراث ومعطياتهـا والسبيل إلى احيائهـا .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل الى من أشرف على نشر هذا البحث فخرج في أحسن صورة وإلى كل من قـام بطبعه وشارك في مراجعته . والله ولي التوفيق .

ا. د. عبد الفتاح وهيبة

ايلول ١٩٧٩

مكانة الجغرافية من الثقافة الاسلامية

الثقافة والحضارة والمدنية كلمات لا تزال تعاريفها موضوع خلاف كبير بين المتخصصين . ولا يتسع المقام هنا لان نعرض لها بالبحث والاستقصاء. ولكن يكفي ان نشير الى أن الثقافة هي روح الحضارة وجوهرها ، لا تحيا الا بها وتذبل بذبولها . ثم هي – في بساطة – ثمرة البحث عن الحقيقة والخير والجمال ، تاريخها هو تاريخ حياة أولئك الافذاذ من بني البشر الذين اضاءوا لغيرهم الطريق بعد ان نجحوا في تأصيل معتقدات وأفكار عن الكون وطبيعته وغايته وعما يسعد البشرية ويشقيها ، اهتدوا اليها من خلال اطلاعاتهم الواسعة وتأملاتهم الكثيرة . وثقافات الامم كحضاراتها تأخذ وتعطي ولكن يختلف مقدار ما تأخذ وما تعطي باختلاف ما بلغه أصحابها في بحثهم عن الحقيقة والخير والجمال .

ثقافة العرب قبل الاسلام وبعده :

وعلى الرغم من تشتت العرب السياسي في الظاهر قبل الاسلام فلقد ربطت بينهم أفكار معينة حول الديانة وخطبوا ونظموا الشعر بلغة فنية ارتفعت فوق لهجاتهم المحلية ، مما يدفعنا الى القول بأنهم حتى في أيام جاهليتهم كانوا أمة واحدة وثقافة واحدة . وما أن بزغ نور الاسلام حتى صار القرآن الكريم والسنّة عماد الثقافة العربية يكملها ويثريها ما كان للعرب قبل الاسلام من فنون الأدب والمعرفة . وبفضل سماحة الدين الجديد وحضّه على تحصيل العلم ولو في الصين ورفعه من شأن العلم والعلماء ، لم

يتردد العرب ورثة الحضارات القديمة في نقل ثقافات الشعوب المغلوبة الى العربية في محاولة لاستيعابها بعد استخلاص ما ينفع وما يفيد .

وقد كان عملهم في هذا الشأن سريعاً ورائعاً . فبعد أقل من قرن من قيام بغداد ، كان التراجمة من اليهود والمسيحيين النساطرة قد ترجموا الى العربية مؤلفات أرسطو في الفلسفة وجالينوس في الطب وكتابي «المجسطي» في الفلك «والجغرافيا» لبطليموس الى جانب كثير من كتب الفرس والهنود في العلوم المختلفة . ويحدثنا المؤرخون انه لأول مرة في التاريخ كان العرب أيام العباسيين يطلبون الى المغلوبين عند إملاء شروط الصلح أن يقدموا لهم كتب العلم والفلسفة والطب غرامة حربية . فعلوا ذلك مثلاً في صلحهم مع الروم مما يؤكد أنهم كانوا على استعداد لقبول هذه العلوم . هكذا انتهت الى العربية روافد الثقافة من شتى أقطار الأرض حتى إذا ما استوعبتها حملت لواء العلم والحضارة لعدة قرون .

ولقد مضى العهد الذي كان فيه تاريخ الثقافة مجالاً للمفاضلة بين الأمم . والرأي أن هذا التاريخ يجب أن يكون موضوعياً يضع كل أمة في مكانها اللائق بعد تقييم إسهامها وعطائها . ولعله من الصواب القول أن ليس ثمة أمة لم تسهم بنصيب في بناء صرح الثقافة العالمية ، كما وأنه ليس ثمة ثقافة بغير حدود محلية . وإنها لدعوى ظالمة تلك التي تقول بأن العرب لم يكن لهم ثقافة تستحق الذكر حتى جاء العلم اليوناني فأثراها بعد إمحال . ذلك أن العرب كانت لهم علوم خاصة بهم لها مناهجها وطرائقها في البحث نذكر منها الفقه وعلوم اللغة والنحو والعروض وعلوم التفسير والحديث . وقد شارك المسلمون في شتى أقطارهم بالكتابة فيها بعد أن صارت العربية هي لغة العلم والثقافة الواسعة . ونحن نميل الى الرأي القائل بأن نجاح المسلمين وفي مقدمتهم العرب في علوم الفلك والطب والجغرافية وسبقهم فيها رغم أنه لم يكن لهم بها عهد إنما يرجع في المقام الأول إلى أنها تقوم على تفكير قريب من تفكيرهم كما تطبق مناهج شبيهة بمناهجهم . وتظهر

حيوية الثقافة الاسلامية وقدرتها الفائقة على تكييف المعارف الدخيلة وفق حاجات المسلمين ثم خلقها بعد ذلك خلقاً جديداً . فلم يكن المسلمون مجرّد نقلة وانما أصحاب رسالة وأصالة وليس أدل على ذلك من اسهامهم الكبير الذي يعترف به المنصفون حين يتحدثون عن بناء صرح الحضارة الانسانية .

المعارف الجغرافية قبل الاسلام :

كان العرب الذين قدر لهم ان يحملوا راية الاسلام يتمتعون بحس جغرافي صادق شأنهم في ذلك شأن كل الشعوب التي تعيش بالفطرة . فكانوا على دراية تامة بمواقع الاشياء في بيئاتهم لا تنقطع بهم السبل اليها ليلاً أو نهاراً ، بل ان حياتهم البسيطة افسحت لهم مجال الملاحظة للتحقق من مواضع الخطر والتماس اسباب الخير من عشب وماء وثمر . وتحدثنا كتب التاريخ والأدب بما عُرف عن العرب قبل الاسلام من تصورات واضحة لبلادهم ففي شعرهم ونثرهم الشيء الكثير عن طبيعة بلادهم وصفاتها واشارات عديدة الى الاماكن وما بها من نباتات وحيوانات وطرقها ومسالكها ومضارب القبائل ومنازل القمر واسماء الكواكب والنجوم. ولم يكن العرب في واقع الأمر في عزلة عن العالم القريب والبعيد. فكانت سفنهم تسعى بين الهند والشواطئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية وربطت قوافلهم مكة ويثرب باليمن والشام وبلاد ما بين النهرين . ومع التجارة انتقلت اليهم بعض المعلومات عن بلاد غير بلادهم وتسربت اليهم بعض أقوال الاغريق والرومان والفرس في الفلك والجغرافية .

الجغرافية بعد ظهور الاسلام :

وما أن بزغ فجر الدين الجديد وقويت دعوته حتى تحولت شبه الجزيرة العربية الى وطن من الابطال يدعون للاسلام ويجاهدون في سبيله. فاتسعت دولة الاسلام في مدى ثمانين عاماً بعد وفاة النبي ﷺ كما لم تتسع دولة من قبل ، إذ امتدت من حدود الصين شرقاً الى جبال البرانس

غرباً . أما الاسلام فكان قد نفذ الى قلوب كثير من ابناء الشعوب المغلوبة فتعلموا لغة القرآن ليفهموا الدين الجديد وعلومه ويقيموا شعائره .

وقد تميزت الثقافة الاسلامية بعدة ميزات لعل من أهمها أنها تخيرت غذاءها تخيُّراً دقيقاً يتفق مــع روح الاسلام . فالتعرف على المكان والنظر في مظاهره والبحث عن مكوناته من أهداف الجغرافية الأصيلة وهذا ما يدعو إليه الله تعالى في كتابه الكريم فيقول : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » . وعملاً بهذه الآية الكريمة اعتمد النابهون ممن كتبوا في ميدان الجغرافية على التجربة الشخصية التي اكتسبوهـا من خلال سفراتهم الطويـلة في البر والبحر . وحرصاً منهم على التعرف على ما يفيد من علم الأقدمين في الفلك والجغرافية الرياضية لم يترددوا في ترجمة كتابي بطليموس في القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي) كما أشرنا . وربما يفسر ذلك اصطباغ الجغرافية العربية في مراحلهـا الأولى بصبغة فلكية يونانية الأصل . ولكن سرعان ما نمت أفرع للجغرافية في تربـة عربية إسلامية خالصة . وكانت تلك هي البداية الحقيقية لعــلم الجغرافية العربي الذي امتدت آثاره الى كل بـلاد الاسلام فيما بعد . ومهما يكن من أمر هذا التطور فإنه من الحق القول أنـــه من حيث الكم ظلت الكتابات الجغرافية على غزارتها خلال القرون . أما من حيث الكيف فقد حل بها الضعف وفقدت القدرة على التجديد منذ أن سيطر العثمانيون على العالم العربي وربما قبل ذلك بقليل .

الثقافة الجغرافية بين المسلمين :

لقـد ظهرت البدايات الأولى للجغرافية الوصفية في الشرق العربي إبان القرن الثاني للهجرة (٨ م) على أيدي اللغويين . ولكن نافسهم في هـذا المجـــال المؤرخون مثل هشام الكلبي (٢٠٤ هـ = ٨١١ م) وابن قتيبه (٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م) . كذلك اهتم المؤرخون الجغرافيون في المغرب العربي

بكتابة الجغرافية الوصفية وكان في مقدمتهم الرازي (ق ٤ هـ = ١٠ م) الذي وضع قواعد علمي التاريخ والجغرافية معاً . وبمرور الزمن نجد أن أدباء وكتاباً وعلماء أسهموا في إثراء المعرفة الجغرافية الاسلامية دون أن يكونوا هم أنفسهم جغرافيين . وكان ذلك يتفق تماماً مع روح العصر الذي لم يعترف بالتخصص الدقيق الذي نعرفه الآن في مجالات العلوم والآداب . فالجاحظ أعظم الأدباء والمثقفين على زمانه ضمن كتبه كثيراً من المعارف الجغرافية بل انه أصدر كتاباً في الجغرافية الاقليمية أسماه « كتاب البلدان » وكتب رسالة قيمة في الجغرافية التجارية أطلق عليها « التبصر بالتجارة » وينطبق ذلك على اخوان الصفاء في بغداد ففي رسائلهم معلومات حول الظواهر الجوية والجيولوجية . ويمكن تفسير سبب تزايد اهتمام المثقفين المسلمين بالكتابة في الجغرافية أن هـذا العلم كان يعد من بين فنون الأدب بصفة عامة كما أن المعارف الجغرافية كانت لا تقل أهمية في تكوين المثقف المسلم عما كان يلم به من علوم وآداب . وكان أفضل ما يرغب في الإحاطة به الى جانب شيء مـن الجغرافية والفلك شيء من الأدب وأنساب العرب والسيرة المحمدية وأخبار فتوح الاسلام وتواريخ الخلفاء والدول الاسلامية . لذلك لم يكن غريباً أن نسمع عـن الأديب الجغرافي والمؤرخ الجغرافي والعالم الجغرافي بـل والفقيه الجغرافي . ومن ناحية أخرى نجد أن أولئك الذين غلبت عليهم النزعة الجغرافية لم يترددوا في الكتابة في الأدب والتاريخ والفلك . فالادريسي ناقل الثقافة الجغرافية الاسلامية الى أوروبا المسيحية قرض الشعر وابن الفقيه (ق ٣ هـ = ٩ م) قدم في كتابه « البلدان » عرضاً للاتجاهات الأدبية في أيامه وتعرض أبو الفدا (ق ٨ هـ = ١٤ م) في كتابه « تقويم البلدان » لمسائل فلكية .

وربما كانت الفوائد التطبيقية للجغرافية وخاصة الرياضية من بين أهم العوامل الـتي حفزت كثيراً من رجال الدين وقادة الجيوش والتجار والمثقفين المسلمين بعامة على معرفة شيء منها . فابن يونس الفلكي المصري (٣٩٩ هـ = ١٠٠٩ م) يذكر ان « للشمس والقمر ارتباط بالشرع في معرفة

أوقات الصلاة وبداية الفصول وطلوع الفجر ومغيب الشمس وأوائل الشهور حتى يتم صوم رمضان لمن شهده ، ويتوجه الحجاج الى بيت الله دون تأخير » . ويبدو ان الاهتمام بالجغرافية الرياضية كان على القدر اللازم لمطالب العبادة وهذا ما يظهر من تصفح كتاب «دلائل القبلة» الذي وضعه الفقيه أبو العباس احمد بن القاضي (٢٣٥ هـ = ٩٤٦ م) ففيه تحديد اتجـــاه الصلاة ومواقيتها والموقع المركزي الذي تحتله الكعبة على الأرض .

وعندما فقدت الجغرافية بعض أصالتهـــا وغلب عليها الاتجاه النقلي والاهتمام بالعجائب والغرائب على حساب الحقائق عمدت كتب التراجم الى اغفال ذكر مؤلفات تحتوي معارف جغرافية على أساس انهـا لا ترفع من اقدار أصحابها. وكاد يسود شعور بان العلوم العقلية بعامة ومنها الجغرافية تأتي في منزلة تالية للعلوم الدينية. ورغم ذلـــك فلم تتدنّ منزلة الجغرافية في ديار المسلمين الى الدرجة التي بلغتها في أوروبا المسيحية حتى قبل أن يبدأ عصرها المظلم . ويعبر عن ذلك القديس امبروز (Ambrose) بقوله : « ان البحث في طبيعة الارض ومركزهـــا بالنسبة للكون لا يفيدنا في الحياة الاخرى » .

ازاء هذه المنزلة المتدنية للجغرافية في رأي أصحـاب كتب التراجم كتب ياقوت الحموي في مقدمة معجمه الشهير « معجم البلدان » يبرر تأليفه له بذكر فوائد ما جاء فيه للمثقفين المسلمين. ومن بين الفوائد التي عدّدها ياقوت المعاونة في تحديد الأسماء بدقة وهـــذا في رأيه أمر مهم للإمام الجليل والأمير الكبير. وتقديم مادة هامة لأهل السِيَر والأخبار والحديث والتواريخ والآثار . ثم ان المعجم لا غنى عنه لأهل الحكمـة والتطبب . فالأطباء يسعون لمعرفة أمزجة البلدان وأهويتها ذلك أنه من كال المتطبب أن يتطلع الى معرفة مزاجها وهوائها وصحة أو سقم منبتها ومائها .

ويأتي عبد الله الحميري المغربي الأصل (ق ٩ هـ = ١٥ م) فيقدم لمعجمه « الروض-المعطار في خبر الأقطار » بقوله : « فقد لمت نفسي على التشاغل

بهذا الوضع الصاد عن الاشتغال بما لا يغني عن أمر الآخرة . ثم رأيت ذلك من باب ما فيه ترويح لهذه النفوس . ومن حسن تعليلها بالمتاح لمن ينشط الى ما هو به أعني » ثم يستعيذ بالله من علم لا ينفع ويبدأ كتابة المعجم .

أسباب ازدهار الجغرافية في ديار المسلمين :

لعل من الحق القول أن جمع المعارف الجغرافية وتسجيلها كان في بداية ظهور الدولة الإسلامية من قبيل خدمة دولة تتسع حدودها وتضم إليها بلاداً وشعوباً غير عربية . فقد رغب الخلفاء وقادة الجيوش في معرفة شيء عن جغرافية البلاد التي فتحها الله على المسلمين . من ذلك ما ذكره الرواة من أن عمر بن الخطاب كتب الى أحد الحكماء حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الأرض يقول : « إنا أناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ويريد أن نتبوأ الأرض ونسكن الأمصار فصف لي المدن وأهويتها ومسالكها وكيف تؤثر الترب والأهوية في سكانها » . ويكتب عمر بن عبد العزيز في أواخر القرن الأول للهجرة الى واليه بالأندلس أن يوافيه « بصفة الأندلس وأنهارها » .

ويصف ابن حوقل (ق ٤ هـ = ١٠ م) علم الجغرافية في مقدمة كتابه « صورة الأرض » بأنه « علم يتفرد به الملوك الساسة وأهل المروات والسادة من جميع الطبقات ».وهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على مدى أهمية هذا العلم في إدارة شؤون الدولة الناشئة ومعرفة أحوالها وثرواتها ووجوه أموالها . وعندما زاد اهتمام الأمويين بالبريد كان من الضروري إعداد رسوم تخطيطية لمختلف الطرق اعتمد عليها فيما بعد كتّاب العصر العباسي. ولم تقف المعلومات العملية أو الدراسات التطبيقية عند هذا الحد ، فقد رسمت مصورات استفاد منها قادة الجيوش الاسلامية . ففي عام ٨٩هـ = ٧٠٨م بعث الحجاج الى قائده فاتح بلاد ما وراء النهر وذلك عندما استبطأ حصاره لبخارى أن يرسل إليه « صورة » المنطقة ويقال أن الحجاج بعث بتعلياته العسكرية اعتماداً على هذه الخارطة .

الى جانب رغبة الحكام في معرفة جغرافية البلاد المغلوبة والطرق إليها طمعاً في حسن الادارة أو درءً للأخطار ، كان الحج الى بيت الله الذي فرض على المسلمين من بين أهم العوامل التي شجعت النابهين من الحجّاج على تحديد الطرق الى مكة والمدينة وذكر مسافاتها ووصف ما تخترقه من بقاع . وما كتب « الديارات » التي ظهرت خلال القرون إلا تعبير عن هذا النمط من الأدب الجغرافي وهو من غير شك أوفى وأخصب من نظيره الأوروبي الذي تركه حجاج بيت المقدس .

وإذا كان حج البيت قد شجع النابهين على الكتابة الجغرافية من واقع الملاحظة والاتصال الشخصي ، فان روح الاخوة الاسلامية التي انتشرت بعد ظهور الاسلام قد أفسحت المجال لكل مجتهد أن يجوب أقطار الاسلام بحثاً عن علم أو طلباً لتجارة بغض النظر عن لونه أو عنصره . فقد دعى الدين الاسلامي الى نبذ العنصرية البغيضة وقرر ألا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى . وواقع الأمر أن الدين وكذلك اللغة ظلا كما سبق أن ألمحنا من الروابط القوية التي جمعت المسلمين بعد تفكك دولتهم سياسياً . فكان طلاب العلم والتجار وجوّابو الآفاق يشعرون أينما حلوا أنهم في أوطانهم ، فلا تمييز ولا عنصرية وإنما كرم ومودة وأُخوّة إسلامية . وفي أخبار رحلة ابن بطوطة الشهيرة الدليل الساطع على ذلك . وينبغي أن نضيف أن نظام الوقف في الاسلام — الوقف على أعمال الخير ومساعدة الغرباء ، شجع طلاب العلم وعشاق الأسفار على الرحلة .

ومنذ أن ظهر الاسلام والصلة وثيقة بين الجغرافية والتجارة فالعالم الاسلامي كان رقعة متصلة حتى بعد تفكك الدولة تمتد من السند الى المحيط الأطلسي . وقد شجع ذلك على ظهور طرق القوافل تسعى عليها وتربط بين محطاتها سفينة الصحراء . ومن ناحية ثانية كانت سواحله تشرف على مياه المحيط الهندي والبحر المتوسط أهم مجالات النشاط التجاري البحري في العصور الوسطى . وكان لتنوع حاصلات هذا العالم وثرواته

واختلاف مطالب شعوبه وعاداتهم وتوسط موقعه مما سمح لطرق التجارة بين الشرق والغرب المسيحي أن تمت عبره أعمق الأثر على نشاط التجارة البحرية خاصة بعد ظهور خارطات بحرية دقيقة واستخدام أدوات وأجهزة ملاحية متطورة عرفها المسلمون قبل الأوروبيين كما شهدت بذلك مذكرات رحلة فاسكو داجاما .

ولكن هذه الأسباب لم تكن وحدها المسؤولة عن نشاط تجارة المسلمين وما تبع ذلك من أخذ وعطاء في مجالات الفكر والثقافة . فقد كان للتجارة إغراء شديد في المجتمع الاسلامي بفضل ما يتمتع به التاجر من احترام أينما حل . كيف لا وقد كان الرسول عليه السلام قبـــل البعث تاجراً . ثم انـــه امتدح التاجر المؤمن الصادق ووعده بمنزلة الشهداء يوم القيامة . لذلك كله عظم نشاط التجار المسلمين داخل ديار الاسلام وامتد خارجها الى بلاد الصين وبلاد البلغار وشمال أوروبا وبلاد الزنج ولا نكون بعيدين عن الصواب إذا مـا قلنا بأن قصة السندباد البحري المعروفة ما هي إلا أخبار وتجارب تجار وملاحين مسلمين مجهولين في البحار الشرقية .

مصادر المادة الجغرافية الاسلامية :

استمدت الجغرافية الاسلامية مادتها عن طريق الملاحظة والاستخبار والنقل . وكان النقل إما عن الرواة من تجار وملاحين وكتّـاب من أهل الثقة أو عن كتب غير عربية (يونانية – وفارسية – وهندية) أو كتب عربية تنتمي الى عصر سابق . ومهما يكن من أمر مصدر المادة الجغرافية ، فلقد كان تقصي الحقائق – وهو مبدأ اسلامي – هدف كل من أخذ نفسه بقول ما يعتقد أنه حق وصواب . ومن أسف أنه بمرور القرون اختلط على كثير من الكتّـاب ما هو الحقيقي من الأمور بسبب وقوعهم في إسار نظريات ومفاهيم خاطئة ذكرها أسلافهم ولم يجرؤوا على رفضها إجلالاً لهم وتعظيماً لما جاء في تصانيفهم . لذلك اتسعت الهوة بـين الواقع والنظرية في الكتابات الجغرافية الاسلامية ، وظهرت بمرور الزمن ثنائيـة جغرافية

تكشف عن البون الشاسع بين الخبرة العملية والواقعية التي اكتسبها الملاحون والتجار وجوّابي الآفاق من ناحية، وما تردد في الكتب من مفاهيم السلف وأقوالهم من ناحية ثانية. وربما كان هذا هو سر ذهاب أصالة الجغرافية الاسلامية ونضارتها في عصر الاضمحلال وفي جمود فن صنع الخارطات في بلاد الاسلام بعامة.

ولعل الجغرافية الرياضية هي من بين أفرع جغرافية التراث التي ترجع في أصلها الى مصادر غير عربية خاصة الاغريقية منها. وقد تمت ترجمة هذه المصادر في فترة بلغ فيها النشاط العلمي قمته. تلك هي فترة حكم المأمون الذي أغدق على المترجمين ورعى العلم والعلماء وكرمهم حتى ليروى انه طلب من الامبراطور البيزنطي أن يبعث اليه بأحد مشاهير العلماء لقاء خمسة اطنان من الذهب وعرضاً للسلام الدائم بين الفريقين. وقد سبق أن أشرنا الى ما تُرجم لبطليموس القلوذي في الفلك والجغرافية. وقد سار على نهجه في خارطاته ونظرياته كثير ممن كتبوا في الجغرافية الرياضية الاسلامية. وربما كان محمد بن موسى الخوارزمي (ق ٣ هـ = ٩ م) هو أول من احتذى حذو بطليموس في كتابه « رسم الأرض ». ومن بين الذين ظلوا يتمسكون بنظرياته حول توزيع اليابس والماء وعلاقة الارض بالشمس وتقسيم اليابس الى أقاليم، نذكر اليعقوبي وابن حوقل والادريسي والمتأخرين من أصحاب الموسوعات والمعاجم.

أما الجغرافية الوصفية بكل فروعها الاقليمية والعمرانية والملاحية والتجارية فهي وليدة البيئة العربية والاسلامية بعامة، ظهرت ارهاصاتها كما ستشير في مكان آخر منذ ظهور الاسلام، بل قبل ذلك في الأخبار المتواترة. ولا يمكن أن نتجاهل أدب الرحلة في هذا المقام. فقد أضاف الى الأدب الجغرافي بانواعه لمحات وضاءة وثراء ومتعة. لكن لا جدال في أن اعتماد هذه الانماط على النقل من مصادر سابقة في الغالب ودون التعريف بها احياناً خاصة في فترة الاضمحلال أساء اليها كثيراً. على

خلاف ذلك ما كانت عليه الحال في فترة الازدهار فقد استمدت المادة الجغرافية في معظمها من واقع الملاحظة وتقصي الحقائق خلال رحلات واتصالات واسعة وهادفة .

دور المسلمين في زيادة المعرفة بالعالم :

ولكن ما هو دور المسلمين في زيادة المعرفة بالعالم ؟ وما هي تلك الانماط التي ميزت الادب الجغرافي الاسلامي وكيف تطورت في الزمان والمكان واسهمت في ارساء قواعد ثقافة جغرافية اسلامية اغنت الفكر الاسلامي بعامة وافادت اوروبا من بعض آثارها منذ العصر المدرسي حتى عصر النهضة ؟

ربما كان دور المسلمين في زيادة المعرفة بالعالم من أبرز اسهاماتهم الثقافية على مستوى العالم . فكان السفر في مهام رسمية والرحلة من أجل الكشف عن المجهول أو طلباً للعلم أو تجارة أو طمعاً في زيارة الأراضي المقدسة من أهم الوسائل التي ساعدت على توسيع معرفة المسلمين بجغرافية ديار الاسلام من ناحية وجغرافية تلك الأقطار غير الاسلامية من ناحية أخرى . ولم يكتب إلا القليل من الرحالة أخبار رحلاتهم في كتب قائمة بذاتها . أما غالبيتهم فقد اعتمدوا على ما جمعوه من مشاهدات وملاحظات في كتابة مصنفاتهم . وقد سبق أن أشرنا الى أن اتساع رقعة الاسلام دفع بالحكام والقادة الى طلب المزيد من المعلومات عن البلاد المغلوبة تمهيداً لتطبيق أحكام الشريعة ورغبة في حسن ادارتها وحمايتها من الأعداء ومعرفة ثرواتها ومواردها ومدى ما يمكن أن تسهم به في بيت مال المسلمين . ثم ان السعي للحج وانتقال طلاب العلم بحرية في أرجاء العالم الاسلامي كان عاملاً مساعداً في زيادة المعرفة بجغرافية جملة بلاد أو بلد من بلاده . فالمقدسي (ق ٤ هـ = ١٠ م) يكتب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » عن جغرافية كل بلاد الاسلام بينما يوجه ابن سليم الأسواني (ق ٤ هـ = ١٠ م) اهتمامه الى دراسة بلاد النوبة دون غيرها . ورحلة

ابن جبير (٥٨٢ هـ = ١١٨٦ م) وصف حي" لطريق الحج من المغرب العربي الى مكة لا يخلو من إشارات جغرافية قيمة . ويمثل عبد اللطيف البغدادي ذلك العالم الذي ضرب في جميع العلوم بسهم وتنقل في أغلب بلاد الاسلام واستقر بـه المقام في مصر لسنوات في أواخر القرن السادس الهجري . ويعد ما كتبه في وصف مصر في كتاب « الافادة والاعتبار » من أمتع ما كتب في جغرافية هذا القطر خلال العصور الوسطى .

هذا ما كان من أمر رحلات وأسفار من كتبوا عن قطر من أقطار الاسلام أو عن بعضها أو كلها في وصف دقيق لجميع النقاط المأهولة وغير المأهولة . أما من كتبوا عن بلاد خارج ديار الاسلام بعد أن قاموا بأسفار ورحلات برية وبحرية واسعة حباً في المغامرة أو طلباً لمـال أو معرفة ، فقد تركوا تراثـاً ضخماً ومصنفات هامة بدأت برحلة سلام الترجمان الى إقليم بحر قزوين خـلال سنوات (٢٢٧ — ٢٣٢ هـ = ٨٤٢ — ٨٤٧ م) الى رحلات ابن بطوطة الشهيرة في (القرن الثامن هـ = ١٤ م) . وربما يتبادر الى الذهن أن رحلات ابن بطوطة كانت هي ختام الرحلات الاسلامية ، فالواقع أن عرباً وأتراكاً واصلوا هذه الرحلات في أوروبا وآسيا ولكن على نطاق ضيق نوعاً ما .

ولعل أفضل من كتب في الجغرافية الإقليمية عــن بلاد خارج دار الاسلام هما أبو الريحان البيروني (ق ٥ هـ = ١١ م) والادريسي (ق ٦ هـ = ١٢م). فيُعد كتاب البيروني عن الهند أهم المؤلفات في تاريـخ الثقافة الجغرافية الاسلامية بـــل العالمية بينما يعتبر ما كتبه الادريسي عن أوروبا أفضل الكتابات العربية . وهنا يجب أن نقف وقفة قصيرة لنذكّر بما سبق أن أشرنا إليه وهو أن الفرق بين ما عرفه الملاحون ورجال القبائل وجوّابي الآفاق والرّحالة من المعارف الجغرافية كان واقعيـــاً وإن امتزج ببعض الخرافات والأساطير أحياناً ولكنه أخذ يتناقص تدريجياً مع ما جاء في تصانيف المترمتين من الكـتّاب . فعلى سبيل المثال كان النواخذه وربابنة

البحر يعرفون الكثير عن سواحل المحيط الهندي وجزره وخلجانه ورياحه وتياراته ومواقع موانيه كل ذلك موضح على خارطات ومصورات . ومع ذلك مضى أصحاب التصانيف الجغرافية في التمسك بما قاله السلف مترسمين الى حد كبير ما جاء في الخارطة البطلمية المشوهة عن هذا المحيط . بل ان المقدسي (ق ٤ هـ = ١٠ م) وهو جغرافي قدير علم من أحد الربابنة الوصف الحقيقي لسواحل جزيرة العرب من القلزم حتى رأس الخليج العربي ومع ذلك لم يحاول أن يسجلهـــا في كتابه « أحسن التقاسيم » تمسكاً « بنظريات » الفلاسفة التي سار عليها من سبقوه . وشبيه بذلك ما وقع فيه المسعودي (ق ٤ هـ = ١٠ م) فقد تحقق من الاختلاف بين أخبار النواخذه ومعارفهم عن البحر وما جاء في الكتب ومع ذلك كان موقفه سلبياً .

ويمكن القول أن القرن الثالث للهجرة (٩ م) كان بداية اتصال التجار العرب والمسلمين من كل عنصر (مباشرة أو بالوساطـــة) بسكان أوروبا الوسطى والشمالية وجماعات الاتراك في آسيا الوسطى وزنوج إفريقية فيما وراء الصحراء عن طريق البر وبسكان سواحل المحيط الهندي و جزره بحراً .

وتكشف كميات العملات العربية الـــتي عُثر عليها في شمال أوروبا وأيسلنده عن مدى نشاط العلاقات التجارية بين العرب وسكان هـــذه المناطق . ومع التجارة انتقلت القيم العربية الاسلامية الى أوروبا وشعوب افريقية وآسيا فضلاً عن العديـد من الكلمات العربية في مجال التجارة والملاحة العملية والفلك تكشف عن مدى رقي الثقافة الاسلامية وتفوقها في ذلك الزمان . وفي المقابل زادت معرفة المسلمين بجغرافية هذه الأقطار وشعوبها خاصة وأن التاجر المسلم لم يجد غضاضة في أن يجمع بين طلب المال وطلب المعرفة .

وفوق ذلك فإن أوروبا لم تتطلع الى ثروات افريقية جنوبي الصحراء الا بعد ان قرأت ما جـاء في كتاب البكري عن افريقية في القرن

الخامس للهجرة (١١م) وازداد طمعها في هذه القارة وثرواتها بعد أن ألـّف أبو الحسن الوزّان (القرن ١٠هـ = ١٦ م) الذي عُرف في أوروبا باسم ليون الافريقي — كتابه القيم عن افريقية وضمنه أحدث ما تجمع لديه من معلومات عن قسم كبير من هذه القارة . وكان لظهور خارطـــة لافريقية جنوبي الصحراء اعتمد صانعها اليهودي على ما جاء في كتاب ابي الحسن الوزان الأثر المدوي في أوروبا لأنها اظهرت ما في القارة من ثروات ومدن وأنهار.

بل لقد ظهر بين الكتاب الأفارقة المسلمين في غربي افريقيه من أسهم في رسم صورة واضحة عن جغرافية هذا الجزء من افريقيه وتاريخه . نذكر منهم عبد الرحمن السعدي (ق ١١ هـ = ١٧ م) الذي ظهر في مدينة تمبكتو عاصمة امبراطورية مالي وكتب مصنفاً عن تاريخ السودان . ولقد كان انتشار العرب ومن ثم الدين الاسلامي واللغـة العربية في افريقية جنوبي الصحراء إما عن طريق الهجرة السلمية أو التجارة (خاصة تجارة الذهب والنحاس والحديد والرقيق) أو عن طريق غزوات من بلاد المغرب العربي مؤثراً وواسعاً. وكون أخلاف العرب الممالك والإمارات التي اشتهرت بغناها وبأسها حتى قضى عليهـا الأوروبيون الطامعون بعد صراع غير متكافئ خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ودور العرب في كشف مجاهل وسط افريقة قبل مجيء الأوروبـيين دور مشرف وان كان سير الأحداث فيه غير مدون . ففي هذا الأقلـيم ظهر أفراد من العرب الخلص والمتزنجين اقتحموا مجاهله وبسطوا عليه نفوذهم وتحكموا في تجارته ثم أذاع أحفادهم فـيما بعد الذعر بين الدخلاء من الأوروبيين لا تسندهم حكومة ولا تعضدهم جماعة . من هـؤلاء سعيد بن جمعه وغيره من أهل التجارة والسياسة في أوغنده والشريف ماجد ورفاقه من أهل المال في تنزانيا . ولكن أشهرهم جميعاً كان طُبوطب الرجل الداهية العلـيم بكل شبر في الجبال والغابات والبحيرات ، إلا أن نهايته كانت محتومة بعد أن دخل في صراع مع البلجيك في الكنغو . من ذلك يتبين

الدور الاستكشافي والتعميري الرائد للعرب في افريقية وانعكاساته على الثقافة الاسلامية العامة .

وفي آسيا تجاوزت معرفة المسلمين بأقاليمها الجنوبية والشرقية معرفة الاغريق بصورة ملحوظة . فمعرفة الاغريق بالبلاد الواقعة شرقي بحر قزوين كانت ناقصة بشكل واضح . كما لم يكن لديهم علم بالساحل الشرقي لآسيا الى الشمال من الهند الصينية . هذا بينما عرف المسلمون سواحل آسيا الى كوريا شمالاً وربما عرفوا جزر اليابان ايضاً . ولكن من المؤكد انهم عرفوا طريق البر الذي يبلغ أعالي نهري أرتيش وينسى .

وقصة المسلمين ونشاطهم في المحيط الهندي ليست أقل إثارة من قصتهم في افريقيه . فقد خرجت سفنهم اليه منذ القرن الثاني الهجري (٨م) تحمل مهاجرين وتجاراً ورحالة حتى تحول الى محيط اسلامي تعيش على سواحله وجزره جاليات اسلامية تقيم في مدن ورباطات ترفع راية الاسلام، لعل أشهرها تلك التي سكنت جنوب الصين وجاوه وماليزيا وبعض سواحل الهند وافريقية الشرقية . وبفضل روح المخاطرة البحرية تمكن الملاحون المسلمون من اتقان فن الملاحة العملية وصار منهم « نواخذة » وربابنة انعقدت لهم شهرة اعترفت بها أوروبا المسيحية في بداية عصر الكشوف الجغرافية . نذكر منهم العالم شيخ الربابنة احمد بن ماجد صاحب كتاب « الفوايد في أصول علم البحر والقواعد » ودليل فاسكودا جاما في الطريق الى الهند .

وربما لم يكن المسلمون في حاجة الى الدوران حول افريقية للوصول الى بلاد التوابل في الشرق البعيد لأنهم كانوا في موقع يمكنهم من الوصول اليه بسهولة دون أن يضطروا الى الالتفاف حول افريقية كما فعل فاسكودا جاما أو عبور بحر الظلمات الغربي كما فعل كريستوفر كولمبس . ومع ذلك فقد حاول نفر من أهل الاندلس والمغرب ومالي ان يكتشفوا ما وراء بحر الظلمات الغربي ربما في محاولة منهم للدوران حول العالم . فالاشارات

في الكتب العربية كثيرة عن مثل هذه المحاولات . فالادريسي يكتب عن رحلة الفتية المغررين من أهل لشبونة ولكنهم لم يذهبوا أبعد من جزر كناري على ما يبدو . ويتحدث أبو الفدا (ق ٧ هـ = ١٣ م) عن رحلات حول العالم ويخلص الى القول بأن الارض كروية . ويورد العمري (ق ٨ هـ = ١٤ م) في كتابه « مسالك الابصار » قصة توحي بأن ملاحين مسلمين من غرب افريقية ركبوا بحر الظلمات الغربي أيام حكم الامبراطور كان كان موسى (٧ هـ = ١٣ م) امبراطور مالي وأنهم اتجهوا غرباً في الفي سفينة ولكن واحدة منها لم تعد. على أن الأمر الذي لا يفوتنا تسجيله هو أنه بدخول البرتغال المحيط الهندي قبل أن ينتهي القرن التاسع للهجرة (١٥م) طويت صفحة مجيدة في تاريخ الملاحة الاسلامية بل والثقافة الاسلامية . وقد نبه الى ذلك قطب الدين النهروالى صاحب « البرق اليماني » الذي أدرك ولكن بعد فوات الآوان مدى الخطر الداهم الذي حل بالعالم الشرقي بدخول « الفرتقال » كما أسماهم .

أنماط من الادب الجغرافي الاسلامي :

شهد القرن الثاني للهجرة (٨ م) مولد بعض أنماط الأدب الجغرافي على يد لغويين في الغالب . وقد اهتم اللغويون بجمع ما عرفه عرب الجاهلية عن الأنواء واستخلاص ما جاء في شعرهم ونثرهم عن الأماكن المعروفة والظاهرات الجغرافية الأخرى في الجزيرة العربية . كما كتب المؤرخون في نمط الفضائل وأشاروا إشارات سريعة غامضة أحياناً الى ما يمكن أن نصفه بالجغرافية الوصفية خدمة للادارة وتعريفاً بالأنشطة الاقتصادية بالدولة . أما حديث الرحلة فيتميز بالخيال الجامح .

وقبل أن ينتهي القرن كانت الجغرافية الرياضية قد بدأت تظهر وهي أساساً جغرافية منقولة عن التراث اليوناني كما سبق أن ألمحنا ، ثم أخذت تتطور تحت رعاية العباسيين في بغداد . وهكذا ظهرت للعرب جغرافيتهم

الرياضية ومصنفاتهم الفلكية (الزيجات) منذ القرن الثالث للهجرة (٩م)[١] . ومن ناحية أخرى أخذت المادة الجغرافية الوصفية في النمو ولو بشكل بطيء لتظهر في كتب الأنواء التي ألفها اللغويون وضمنوها صنوف الملاحظات عن الطقس والظواهر الطبيعية الأخرى مصحوبة بتعليقات لغوية وغير لغوية . ومن أشهر كتب الأنواء في القرن الثالث للهجرة كتاب « الصفات » وهو موسوعة كتبها النضر بن شميل (الذي قضى معظم حياته في خراسان) عن الحياة البدوية . ومن أسف أنها لم تصلنا وإن كان قد نقل عنها المتأخرون . وكما اهتم اللغويون بالأوصاف الجغرافية العامة ، فقد وجهوا اهتمامهم الى ما يمكن أن نسميه بالجغرافية الاقليمية ولكن في إطار محدود هو إطار الجزيرة العربية في الغالب . ولعل أشهر من كتب في هذا المجال هو المؤرخ اللغوي هشام الكلبي (٢٠٦ هـ = ٨٢٠ م) الذي ألف عشرة كتب في الجغرافية كما يذكر ابن النديم (ق ٤ هـ = ١٠ م) أفاد منها من جاؤوا بعده خاصة الإدريسي واشتهر في هذا المجال أيضاً الأصمعي (ت ١٢٦ هـ = ٨٣١ م) صاحب كتاب « جزيرة العرب » الذي رجع اليه ياقوت كثيراً عند كتابته معجمه الشهير .

وهكذا بدأت أنماط من الأدب الجغرافي في الظهور في أوائل القرن الثالث للهجرة لم تلبث أن صارت لها الغلبة في القرن التالي . من تلك نذكر الجغرافية العامة والتاريخ الطبوغرافي للمدن والجغرافية الاقليمية المنهجية والكوزموغرافية مع ذكر العجائب . وهي كلها وريثة لنمطي الفضائل والأنواء . كذلك لا ننسى في هذا المقام تلك المعلومات التي تجمعت عن طريق الرحلة والسفر وحوتها كتب لا تنتمي الى فن معين .

وممن أسهموا بكتاباتهم في الجغرافية العامة في القرن الثالث للهجرة على سبيل المثال لا الحصر ابن خرداذبة الذي صنف كتاب « المسالك والممالك »

(١) نذكر من الفلكيين : في العراق البتاني (ق ٣ هـ = ٩ م) وفي مصر ابن يونس (ق ٤ هـ = ١٠ م) وفي الاندلس الزرقالي (ق ٥ هـ = ١١ م) وفي ايران نصير الدين الطوسي (ق ٧ هـ = ١٣ م) .

ضمنه معلومات عن طرق التجارة خاصة بين أوروبا والشرق والمسافات بين المدن وخراج أقاليم الدولة . واليعقوبي معاصر ابن خرداذبّة ومؤلف كتاب « البلدان » يولي هو الآخر عناية بالخراج ولكنه يبدي اهتماماً بالنواحي الطبوغرافية كذلك . الى جانب هذه المصنفات ذات الصبغة الجغرافية العامة ظهرت في هذا القرن أيضاً أشكال من المعارف الجغرافية الاقليمية مختلطة بكثير من المواد التاريخية والاسطورية . من بين هذه المعارف ما جاء في مصنفات تواريخ المدن . فمقدماتها أوصاف طبوغرافية تليها سير من عاش فيها من المشاهير وإشارات الى أعمالهم نذكر من هذه المصنفات كمثال « تاريخ مكة » للفاكهي (٢٧٢ هـ = ٨٨٥ م) .

ولقد اكتسب هذا الأدب الجغرافي الطبوغرافي انتشاراً واسعاً خاصة في مصر بدأ « بفتوح مصر » لابن عبد الحكم وبلغ أوجه بظهور الخطط المقريزية في القرن التاسع للهجرة (١٥ م) وهي أساساً ضرب من ضروب الجغرافية التاريخية .

ولقد وجدت الجغرافية الاقليمية طريقها الى المغرب . ويُعد المؤرخ الجغرافي الكبير أحمد بن محمد الرازي (٣٤٤ هـ = ٩٥٥ م) أول من كتب فيها وتشير جميع المصادر الى أنه وضع مؤلفاً كبيراً في طرق الأندلس ومرافئها ومدنها الكبرى، ويقال أنه وضع أيضاً مصنفاً خاصاً في وصف مدينة قرطبة .

ولا بد لنا أن نذكر أنه من بين المجموعة الضخمة من المصنفات في القرن الرابع للهجرة (١٠ م) كتاب فريد ألفه الهمداني وأسماه « صفة جزيرة العرب » ويعتبره اشبرنجر Sprenger هو وكتاب المقدسي من أبرز وأقيم ما أنتجه العرب في الجغرافية . ولم يكن الهمداني مؤرخاً جغرافياً بل لغوياً أثرياً استطاع بكل مقدرة أن يفك رموز الكتابة العربية القديمة في جنوب الجزيرة العربية . بيد أن أهم ما تميز به القرن الرابع الهجري هو ظهور المدرسة الجغرافية السلفية (الكلاسيكية) في المشرق العربي .

ولقد اثرت هذه المدرسة في علم الجغرافية بما انتجته في الجغرافية الاقليمية من مؤلفات توضحها خارطات مميزة يطلق عليها في مجموعها أطلس الاسلام. نذكر من رواد هذه المدرسة في العراق والشام أبو زيد البلخي صاحب كتاب « صورة الاقاليم » وهو عبارة عن اطلس تصحبه بعض التوضيحات. والاصطخري مؤلف كتاب « المسالك والممالك » والمقدسي مؤلف كتاب « احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » والذي سبق ان اشرنا الى اعجاب شبرنجر بغزارة علمه وصدقه ، ومع ذلك فمن وجهة نظر شخصية نرى أن المقدسي عابه تعسفه في نقد من سبقوه وعدم تحليه بتواضع العلماء وتمسكه بنظريات السلف خاصة فيما يتصل بمركز الارض من المجموعة الشمسية وشكل المحيط الهندي شبه المقفل.

ويشتمل اطلس الاسلام على ٢١ خارطة مرتبة في نظام لا يتغير : يبدأ بخارطة مستديرة للعالم تليها خارطات لأقاليم العالم في الشرق والغرب. وتدل الخارطات على معرفة أدق بالحقائق الجغرافية مما كان عليه الحال في أوروبا في ذلك العهد كما تكشف عن تطور في الفن الخارطي العربي. وكما اشرنا فان المادة الجغرافية في مصنفات المدرسة السلفية تلك تشرحها وتوضحها هذه الخارطات كما أن المادة نفسها خضعت لمنهج صارم ومحدد. فيبدأ وصف كل أقليم بالكلام على المدن والأنهار فالجبال فالسكان ويعقب ذلك وصف الطرق والمواصلات وربما كان هذا الترتيب ملائماً لضم أية معلومات جديدة مستقاة من الوثائق الرسمية أو أقوال الرحالين أحياناً.

الى جانب مصنفات المدرسة الجغرافية السلفية تميز هذا القرن برسائل اخوان الصفاء في بغداد وعلى الرغم من أنها لا ترتبط ارتباطاً مباشراً بالجغرافية إلا انها لا تخلو من مفاهيم جغرافية تجاوزت عصرها. مثال ذلك القول بان ارتفاع حرارة الغلاف الجوي هو نتيجة لانعكاس أشعة الشمس على سطح الأرض وانه بمرور الزمان تصبح السهول بحاراً وتتحول البحار الى سهول وجبال وتتحول الأراضي المزروعة الى أحجار والصحارى

الى أرض مزروعة . ومن الجدير بالذكر ان البيروني عـالم الاسلام الشهير اثبت هذه المفاهيم في القرن الأول بأدلة محسوسة . واذا ما غضضنا النظر عما ظهر من تصانيف في مصر والشام وما تركه جغرافيون رحـالة في بغداد وما ألفه فلكيون في بـلاد الشرق بعامة فان هذا القرن يفخر بمؤرخ جغرافي رحالة هو أبو الحسن المسعودي الذي أثرى الثقافة الاسلامية عامة والجغرافية خاصة بما تركه من اعمـال لعل أهمها كتاب « مروج الذهب» وكتاب «التنبيه والاشراف». ويضم كتاب مروج الذهب معلومات جغرافية قيمة ، ففيه موازنة بـين آراء الاقدمين من الفلاسفة الاغريق والهنود فيما يتصل بنشأة العالم وفيه رأي يقول بامتداد افريقية الى الجنوب من خط الاستواء وبوجود أرض مجهولة الى ما وراءها جنوباً. ويجد القارئ فوق ذلك استعراضاً لأقاليم العالم المعمور وسكانها والبحار التي تحيط بهـا وهي سبعة على حد قوله . أما كتاب « التنبيه والاشراف » فهو نظرات في التاريخ والجغرافية والفلسفة . لكل ذلك فان القرن الرابـع للهجرة (١٠م) يعد بحق القرن الذهبي للثقافة الجغرافية بل والاسلامية بعامة .

وفي القرن الخـامس نجد أن أبا الريحان البيروني من أعلام من كتبوا فيه في موضوعات ومسائل جغرافية برغم أنه لم يكن جغرافياً كما سبق أن ألمحنا . ففي تضاعيف مصنفاته الشيء الكثير عن الجغرافية العـامة والاقليمية والرياضية كذلك اشتغل بعمل الخارطات وله في ذلك مبتكرات في كيفية نقل صور الأرض الكروية الى الورق المسطح أو ما يعبر عنه اليوم بمساقط الخارطات . ويحمد له وضع منهج متكامل لدراسة جغرافية الهند الاقليمية . وتعد هذه الدراسة فريدة في بابها لا مثيل لها في الأدب العلمي القديم أو الوسيط سواء أفي الشرق أو الغرب. وهذا الكتاب يعرض بشيء كثير من الدقة للتضاريس والمناخ والأنهار والنبات والحيوان والمواصلات والطرق والمسافات والتجارة والسلع والمدن . وهو في عرضه هذا لا يختلف كثيراً عمـا يتبعه الجغرافيون المحدثون . ومن أسف أن الأندلس لم يعرف مؤلفات البيروني جيداً ولذا ظلت مجهولة في أوروبا لفترة طويـلة . ومن

طريف ملاحظات البيروني غير الجغرافية وإن كانت تمس الثقافة الاسلامية بعامة تأكيده على مدى طواعية اللغة العربية في الكتابة العلمية مقارنة باللغة الفارسية وفي هذا رد مناسب على من ينكرون ذلك هذه الأيام .

وفي الوقت الذي اندثرت فيه في المشرق انماط كالمعاجم الجغرافية اللغوية كان الأدب الجغرافي في المغرب العربي قبل القرن الخامس للهجرة محلياً باستثناء بعض أعمال تركها الرازي في الجغرافية . ولكن منذ منتصف هذا القرن اخذت مصنفات جغرافية تظهر في المغرب العربي وتظفر بمكانة خاصة لعل أهمها كتاب « المسالك والممالك » الذي صنفه أبو عبدالله البكري أكبر جغرافي أخرجته الأندلس .

ولا يمكن ان نترك المغرب الاسلامي في القرن السادس للهجرة (١٢م) ، دون ذكر الشريف الادريسي ناقل الثقافة الجغرافية العربية الى أوروبا المسيحية وابن جبير ذلك الرحالة الاندلسي الذي زار مصر والجزيرة العربية والعراق والشام وصقليه في رحلة خرج فيها حاجاً وترك ملاحظات قيمة عن المدن والمشاهد والقبور والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لبعض تلك البلاد التي زارها . ويعد كتاب رحلة ابن جبير القمة فيما بلغه نمط الرحلة في الادب العربي بعامة . ولقد عرفت أوروبا المسيحية صورة العالم الاسلامي وجغرافيته وكذلك صورة العالم المعروف اذ ذاك وجغرافيته من خلال كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذي ألفه الادريسي عندما عمل في بلاط الملك روجر الثاني في صقليه . وإذا كان الادريسي لا يمكن ان يكون في مصاف علماء الاسلام المبرزين الا أن كتابه الذي قدمه لملك مسيحي يكشف عن مدى تفوق الثقافة الجغرافية الاسلامية في ذلك العصر مقارنة بالثقافة الأوروبية في هذا المجال . ويروي مؤرخو الحضارة أن أوروبا تقبلت هذا الكتاب بما يستحقه من تقدير وإكبار وظل من أكثر كتب الاسلام ذيوعاً فيها لعدة قرون .

فإذا ما رجعنا الى المشرق العربي مرة أخرى نجد أن مصر لم تخرج في القرنين الحادي عشر والثاني عشر مصنفات اكتسبت شهرة على مستوى العالم العربي. بيد أنها من ناحية اخرى حافظت كعهدها دوماً على انتاج تلك المراجع الرسمية في الاحصاء والادارة. نذكر منها مصنف ابن مماتي «قوانين الدواوين». كذلك استقبلت مصر رحالة وعلماء منهم من مرّ بها مروراً سريعاً كابن جبير ومنهم من طـاب له المقام فيها بعض الوقت كما فعل عبد اللطيف البغدادي. لكن بينما سجل ابن جبير ملاحظات سريعة ولكن دقيقة سجل عبد اللطيف البغدادي وصفـاً حيّا لمصر ضمنه كتابه «الإفادة والاعتبار». ومن آرائه الطريفة التي أوردها في هـــذا الكتاب وجوب المحافظة على آثار الأقدمين لأن فيها عبرة لمن يعتبر. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى سعة أفق مثقف وعالم مسلم عاش في القرن الثاني عشر م.

وفي الجناح الشرقي من العالم الاسلامي نجـــد أن أقطـاره شهدت في القرن الثاني عشر انتاجاً عزيزاً من المعاجم وأدب الرحـلة ومصنفات في الجغرافية الاقليمية والوصفية. ولكن احداً من هذه الكتب والمصنفات لم يحتل منزلة هامة. في هذا القرن ايضاً بدأ الأدب الجغرافي الفارسي يُظهر كثيراً من الحيوية ولكن وفقـاً للمنهج العربي. ومن الفرس الذين كتبوا بالفارسية ابن البلخي في «فارسنامة» وفيه وصف جغرافي لولاية فارس، واحمد الطوسي مؤلف أول كتب باللغة الفارسية في الكوزموغرافيا وعنوانه المترجم «عجائب المخلوقات» وهو شبيه بمؤلف القزويني الذي ظهر بعد ذلك بنحو قرن من الزمان. ولقد نما هذا الأدب الجغرافي الفارسي في القرن الثالث عشر ويتمثل ذلـك في مؤلف محمد عوفي الذي ترجمـه بنفسه الى العربية تحت اسم «جامـع الحكايات وواسع الروايات» ويعد أهم مصنف فارسي في مادة الجغرافية.

على أن الشيء الذي يجب أن نقف عنده قليلاً هو ظهور جغرافية

دينية بعد سقوط القدس في أيدي الصليبيين ازدهرت إبان القرن الثالث عشر ، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بنمو حركة تحرير القدس وأرض فلسطين من أيدي الغاصبين . ولقد اشترك في التعريف ببلاد الشام ووصف الطرق الى القدس والحض على تحريرها الجغرافيون والمؤرخون بل والفقهاء . ومما يثبت ان الأدب الجغرافي من هذا النوع كان يرتبط ارتباطاً فعلياً ومصيرياً بالدعوة التحريرية التي لم تقف عند حد القول فقط بل خرجت احياناً الى حد الفعل — خروج عالم من علماء دمشق هو المؤرخ الجغرافي سبط بن الجوزي (٦٥٤ هـ = ١٢٥٧ م) على رأس حملة لمحاربة الفرنجة في نابلس . هكذا أسهمت المفاهيم الجغرافية في خدمة الاسلام والحفاظ على مقدساته حتى سقط آخر معقل للصليبيين في أواخر القرن الثالث عشر .

وقبل سقوط بغداد بنحو قرن من الزمان كان معجم ياقوت قد عرفه المثقفون في المشرق . وأهمية هذا المعجم الثقافية تتجاوز أهدافه الجغرافية ذلك انه يعكس الوحدة المثالية للعالم الاسلامي والثقافة الاسلامية . وأما من حيث قيمته الجغرافية فهو أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربي في العصور الوسطى . فهو سفر تبلغ عدد صفحاته ٣٨٩٤ صفحة زاخرة بالمعارف الجغرافية التي اعتمد في جمعها على الملاحظة والخبرة الشخصية والاطلاع الواسع ، فقد رجع الى عدد كبير من المصادر بعضها غير معروف .

ولم تمس وطأة الغزو المغولي جميع البلاد الاسلامية في النصف الأول من القرن السابع للهجرة ، لذلك استمرت انماط من الأدب الجغرافي تنمو وتترعرع في البلاد التي سلمت ، اما تلك التي نكبت بالغزو خاصة بعد سقوط بغداد (٦٥٣ هـ = ١٢٥٨ م) فقد انتكست فيها الحياة الثقافية وانتقلت مراكز النشاط العلمي والأدبي الى الشام ومصر . ولا يعني ذلك ان التأليف الجغرافي قد اختفى من المشرق كله ، فقد ظهرت كتب جغرافية باللغة الفارسية كما سبق أن اشرنا. وظهرت كوزموغرافية القزويني (٦٨٢ هـ — ١٢٨٣ م) التي بلغت الأوج في نمط العجائب وقد اسماها

« عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » وهي تحتوي على كثير من المعارف الفلكية والجغرافية حول السماء والأرض والمخلوقات جمعها — كما يقول — بطريق السمع والبصر والفكر والنظر. ومما يجدر ذكره انه بينما كان القزويني أهم الأسماء في جغرافية العجائب في أواخر القرن السابع للهجرة كان ابن سعيد في نفس الوقت هو أهم الأسماء في أدب الرحلة في المغرب العربي وبالمقارنة تتضاءل اسماء أولئك الرحالة الذين اكتسب كل منهم أهمية معينة في محيطه الخاص مثل العبدري وابن العبري. من هذا يمكن ان نخلص الى القول بان الانتاج الجغرافي لم يتناقص في كمه خلال القرن السابع للهجرة ولكننا مع ذلك لا نلمس فيه الإبداع الذي رأيناه في القرن الرابع الهجري وان كان قد بلغ القمة في نمط العجائب والغرائب كما المحنا.

بعد الغزو المغولي نشط التأليف الجغرافي باللغة الفارسية بل ظهرت مصنفات محلية باللغة التركية. وفي الوقت الذي ظهرت فيه الموسوعات الكبرى وكتب الخطط في مصر والشام (ق ٨ هـ = ١٤ م) كان العراق قد توقف عن لعب أي دور ذي بال في مجال التأليف الجغرافي. وينطبق هذا القول الى حد ما على الأندلس بسبب انشغال المسلمين في غرناطة بحرب غير متكافئة ضد الاسبان في سبيل البقاء. ومع ذلك فان أدب الرحلة في المغرب العربي قاوم عوامل الضعف وان كان اهتمام المغاربة تجاوز اهتمام الاندلسيين. فقد ظهر من بينهم رحالة الاسلام الاشهر ابن بطوطه الذي قدم لنا صورة صادقة لآراء وتصورات مواطن مسلم من أهل القرن الثامن الهجري. وقد وصفه ابن جزي الكاتب الذي دوّن الرحلة بقوله: « ولا يخفى على ذي عقل ان هذا الشيخ هو رجل العصر ومن قال رحال هذه الملة لم يبعد » ولا يسعنا ان نترك المغرب العربي في هذا القرن دون الاشارة الى ابن خلدون رغم انه لم يكن جغرافياً، ففي مقدمته أفكار جديدة حول العلاقة بين البيئة والانسان وجغرافية العمران والجغرافية الاقتصادية لم تعرف أوروبا مثلها إلا بعد مضي عدة قرون.

وقد كانت الموسوعات علامة من العلامات المميزة لـــلأدب الجغرافي المصري في هذا القرن وضعها ُكتّـاب الدواوين في مصر المملوكية . نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر شهاب الدين النويري (٧٣٢هـ=١٣٣٢م) صاحب موسوعة « نهاية الأرب في فنون الأدب » وهي موسوعـة ضخمة تتألف من ٩٠٠٠ صفحة تتضمن تلخيصاً لجميع العلوم الاجـــتماعية ومنها الجغرافية ولذا فهي تعد من أهم المصادر التي نرجـــع اليها اذا أردنا التعرف على ثقافة العصر . وقد استمر نمط الموسوعات في ازدهار خـلال القرن التاسع للهجرة (١٥م) في مصر . ولكن لم يكن أقل منه ازدهاراً الأدب الجغرافي الاداري الذي تمثل خير تمثيل في كتاب ابن الجيعان « التحفة السنية في أخبار الديار المصرية » ونمط الخطط الذي مثل مزيجاً من التاريخ الطبوغرافي والجغرافية التاريخية بلغ ذروته في الخطط المقريزية.

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عما أسهمت به أقطـــار الاسلام في محيط الأدب الجغرافي من ان نذكر ان بلاد الشام انجبت في القرن الثامن الهجري عالمين لا يمكن تجاهلهما. الأول هو شمس الدين الدمشقي (٧٢٧هـ=١٣٢٧) الذي ترك لنا « تحفة الدهر في عجائب البر والبحر » وهي موسوعة على نسق موسوعة القزويني ولكنها تعد مصدراً أساسياً بالنسبة لجغرافية الشام وتاريخه . والعالم الثاني هو أبو الفدا معاصر الدمشقي ومواطنه . وهـــو فضلاً عن إسهامه في مجال الجغرافية بكتاب أسماه « تقويم البلدان » كان أديباً وشاعراً وقائداً عسكرياً . وإذا كان الكتاب تنقصه الأصالة فـإن طريقة تبويب المادة الجغرافية في إطار المناطق موضع الدراسة لا تخـلو من أهمية .

عصر الاضمحلال :

وبنهاية القرن التاسع الهجري (١٥م) كانت الكتابات الجغرافية العربية قد فقدت بريقها وطاقتها الخلاقة بسبب ما أصاب الأمة العربية من ضعف انعكس على ثقافتها، فقد صار النقل عن السلف دون تمحيص هو القاعدة. ولكن علينا أن نفرق هنا بين نتائج الخبرة الشخصية التي اكتسبها ملاحون

من شرقي افريقية وجنوب الجزيرة العربية ومن بلاد البحر المتوسط الشرقي وبين المعارف النظرية التي تضمنتها أغلب مصنفات ذلك القرن والقرون التالية . فبينما كان النواخذة أو الربابنة على علم دقيق بالسواحل والطرق البحرية والتيارات المائية وصنوف السلع التي تحملها السفن ذهاباً وإياباً كان الكتّاب يرددون ما قاله السلف على الرغم من تغير الزمان والأحوال.

والمتصفح لكتاب « الفوايد » لابن ماجد الربان العربي وكتاب « محيط » للملاح التركي والأديب علي ريس سيكتشف مبلغ تطور الجغرافية الملاحية وفن الملاحة من واقع الخبرة والتجربة الشخصية في القرنين التاسع والعاشر للهجرة (١٥م ، ١٦م) . وقد تنبهت أوروبا الى قيمة الخبرة الشخصية في الكتابة الجغرافية فأخذت تنبذ الأفكار والنظريات القديمة بعد أن تأكدت من خطئها وراحت تستفيد من تجارب الملاحين المسلمين في المحيط الهندي خاصة ، ومن تجارب الرحّالة والمستكشفين في جهات الأرض المختلفة . هكذا سارت أوروبا في الطريق السليم نحو وضع جغرافية حديثة ، بينما اكتفى المسلمون بمن فيهم الأتراك العثمانيون بترديد ما ذكره السلف . وكانت النتيجة أن صاروا طلبة في مدرسة الجغرافية الغربية وضاقت معرفتهم بالعالم وانقطعوا تدريجياً عن مجرى الأحداث العالمية خاصة بعد ان تعرضت أكثر أقطارهم للسيطرة الأوروبية في القرن الثالث عشر الهجري (١٩م) وأوائل الرابع عشر الهجري (٢٠م) .

وبعد فهذه هي مكانة الجغرافية من الثقافة الاسلامية في الزمان والمكان ودورها أخذاً وعطاء في سبيل حياة أخصب وعلم ينفع ، وهذا ما بلغته يوماً من تألق واصالة وما آلت اليه من ضعف بعد أن فقدت القدرة على الخلق والعطاء . والتساؤل الذي قد يخطر ببالنا الآن هو : ألا يحفزنا ذلك بعد أن عرفنا الداء الى استعادة دورنا الرائد في ميدان الدراسات الجغرافية إسهاماً منا في خلق ثقافة اسلامية تشع بنورها على العالم ؟ .

ندعو الله أن يساعدنا على خلق الحاضر بما اكتسبناه من معرفة بالماضي انه سميع مجيب .

مصادر عربيـــة

١ — ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور — بولاق ١٨٨٣—١٨٨٤.

٢ — ابن بطوطه : تحفة النظار في عجائب الأمصار — بيروت ١٩٢٧.

٣ — ابن جبير : رحلة ابن جبير تحقيق الدكتور حسين نصار—القاهرة ١٩٥٥.

٤ — ابن حوقل : المسالك والممالك - بيروت ١٩٧٠.

٥ — ابن خرداذبه : كتاب المسالك والممالك — ليدن ١٨٨٩.

٦ — ابن خلدون : المقدمة — بيروت ١٩٠٠ .

٧ — ابن عبد الحكم : فتوح مصر — القاهرة ١٩١٤.

٨ — ابن الفقيه : كتاب البلدان - ليدن ١٨٨٣.

٩ — ابن مماتي : قوانين الدواوين — القاهرة ١٩٤٣.

٠١ — أبو الفدا : تقويم البلدان — باريس ١٨٤٠.

١١ — أبو المحاسن : النجوم الزاهرة — ج ٣ القاهرة ١٩٢٩.

١٢ — الجاحظ : التبصر بالتجارة — تحقيق حسني عبدالوهاب —القاهرة ١٩٣٢.

١٣ — خسرو ناصر : سفرنامه — ترجمة يحيى الخشاب — القاهرة.

١٤ — اخوان الصفاء : رسائل اخوان الصفاء — بمباي ١٨٧٦ — ١٨٧٧.

١٥ — البغدادي (عبد اللطيف) : الإفادة والاعتبار — باريس ١٨١٠.

١٦ — البكري (عبدالله) : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب باريس ١٩١١ .

١٧ - البيروني : تحقيق ما للهند من مقالة مقبولة في العقل أو مرذولة—لندن ١٨٨٧.

١٨ — الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق — ليدن ١٨٨٦—١٨٩٤.

١٩ — الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر — بطرسبرج ١٨٨٦.

٢٠ — الأصطخري : كتاب مسالك الممالك — ليدن ١٨٧٠ .

٢١ — العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار — القاهرة ١٩٢٥ .

٢٢ — المسعودي : مروج الذهب — باريس ١٩٢٤.

٢٣ — ——— : التنبيه والاشراف — ليدن ١٨٩٣.

٢٤ — المقريزي : الخطط ٤ أجزاء — القاهرة ١٩٠٥-١٩٠٧.
٢٥ — القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات — جونتجن ١٨٤٩.
٢٦ — قدامة (أبو الفرج) : كتاب الخراج — ليدن ١٨٩١.
٢٧ — القلقشندي : صبح الأعشى ، الجزء الثالث — القاهرة ١٩٣٨.
٢٨ — المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم — ليدن ١٩٠٦.
٢٩ — النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب — القاهرة ١٩٥٣.
٣٠ — ياقوت : معجم البلدان ١٢ جزءاً — القاهرة ١٩٠٦.
٣١ — اليعقوبي : كتاب البلدان — ليون ١٩٠٥.

مراجع باللغة العربية

١ — ابراهيم الإبياري : نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري تراث الانسانية المجلد الرابع ص ٣٣٧-٣٥١.
٢ — أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ، سلسلة أعلام العرب — القاهرة ١٩٦٧.
٣ — الدوميلي : العلم عند العرب ، نقله الى العربية الدكتو عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى — القاهرة ١٩٦٢.
٤ — باذل دافدسن : افريقيه تحت أضواء جديدة ، ترجمة جمال احمد بيروت ١٩٤٧.
٥ — حسين فوزي : حديث السندباد القديم — القاهرة ١٩٤٧.
٦ — ———— : المعارف الملاحية العربية في العصور الوسطى . من كتاب أثر العرب والاسلام في النهضة الأوروبية — القاهرة ١٩٧٠ ص ٣٣١ — ٣٥٣.
٧ — حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ١٩٥٩ — ١٩٦٠.
٨ — جمال موسى : نهر النيل ، تاريخ الفكر الجغرافي ، مجلة المجلة العدد العاشر ، اكتوبر سنة ١٩٥٧.

٩ — جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ٥ أجزاء — القاهرة ١٩٥٨.
١٠ — جوزستاف جرونيباوم : حضارة الاسلام ، ترجمه عبد العزيز جاويد وراجعه عبد الحميد العبادي — القاهرة ١٩٦٥.
١١ — زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى — القاهرة ١٩٤٩.
١٢ — عباس محمود العقاد : اثر العرب في الحضارة الأوربية — القاهرة ١٩٦٠.
١٣ — عبد الحليم منتصر : العلوم الطبيعية ، عن كتاب اثر العرب والاسلام في النهضة الأوروبية — القاهرة ١٩٧٠ ص ٣٣١ — ٣٥٣.
١٤ — عبد الحليم منتصر : عجائب المخلوقات للقزويني ، تراث الأنسانية ، المجلد الأول — الجزء التاسع .
١٥ — عبدالفتاح وهيبه : جغرافية العرب في العصور الوسطى — القاهرة ١٩٦٥.
١٦ — عبد العزيز كامل : جغرافية الاسلام في افريقية — القاهرة ١٩٦٧ .
١٧ — عبد الواحد وافي : « مقدمة ابن خلدون » تراث الانسانية ، مجلد ١ سنة ١٩٦٣ ص ٢٨٦ — ٣٠٦ .
١٨ — علي حسني الخربوطلي : مروج الذهب للمسعودي ، من تراث الانسانية العدد الرابع ١٩٦٦ ، ص ٢٥٣ — ٢٦٩ .
١٩ — كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي . ترجمة صلاح هاشم — جزءان ، جامعة الدول العربية — القاهرة ١٩٦٥ .
٢٠ — محمد كامل حسين : « في الطب والاقرباذين » (من كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية) — القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٦٧ — ٢٧١ .
٢١ — محمد محمود الصياد : « الجغرافيا » (من كتاب أثر العرب في النهضة الأوروبية) ص ٣٠٩ — ٣٢٧ .
٢٢ — نفيس أحمد : جهود المسلمين في الجغرافيا ، ترجمة فتحي عثمان — القاهرة.
٣٢ — نيقولا زيادة : الرحالة العرب — القاهرة ١٩٥٦ .

مراجع بلغات أجنبية

1 - Beazley, C.R : The Dawn of Modern Geography, 3 Vols, N.Y., 1949.

2 - De la Roncière, Charles : La Découverte de l'Afrique au Moyen Age, Le Caire, 1925.

3 — Ferrand, G.:Relations des Voyages et Textes Géographiques Arabes, Persans et Turcs Relatifs à l'Extrême-Orient du VIII[e] au XVIII[es], Paris, 1913 - 1914.

4 — Gibb, H. : Ibn Battuta, Travels in Asia & Africa, London, 1929.

5 - Heyd, W. : Histoire du Levant au Moyen Age, 2 Vols, Leipzig et Paris, 1825 - 6

6 Hitti, P. : History of the Arabs, London, 1937.

7 Ibn Magid : Instructions Nautiques et Routières Arabes des XV et XVI Siècles, ed. G. Ferrand, Paris 1921.

8 - Kramers, J.H : "Geography and Commerce" - - The Legacy of Islam ed. by Sir Thomas Arnold and Alfred Guillaume, Oxford, 1930, p. 79 - 107.

9 Lelewel, J. : Géographie du Moyen Age, I-II, Bruxelles, 1852.

10 - Kimble, T. : Geography in the Middle Ages, London, 1938.

11 - Khosrau, N. : Sefer Nameh, Paris, 1881.

12 Marco Polo : The Book of Sir Marco Polo, ed. by Sir H. Yule, London, 1905.

13 — Newton, A. (Ed) : Travel and Travellers in the Middle Ages, London, 1949.

14 - Reinaud, M : Géographie d'Abolfeda, T.I, Paris, 1918.

15 - Sarton, G. : Introduction to the History of Science, Baltimore, 1946.

16 - Schoy, C: "The Geography of the Moslems of the Middle Ages", Geog. Rev., 14, 1924, pp. 227-269.

17 - Wright, J. : Geographical Lore of the Crusades, N.Y., 1924, Chap. II.

18 — Youssef Kamal : Monumenta Geographicæ Africæ et Aegypti (T. III, époque Arabe.)

الفهرس

طبع في دار الاحد (البحيري اخوان) بيروت